رسالة عبد الرحمن

وصلتني رسالة من أخي عبد الرحمن فيها صـور لوسـيم وتقـدم علاجـه، وأخبرني أن ليديا ستزورني لأخذها، وما كنت أريد أن تراها ابنتي وجهاد في بيتـي، فتزلق بكلمة يفتضح منها أنها والدة وسيم، فرأيت أن أفضل ما أفعله هـو أن أذهـب لرؤية الطبيب، وأجعل أسماء تقوم بالمهمة عني فتكون متابعتها لأحوال وسـيم فـي كتمان عن زوجها..

نسخت صور وسيم على الكمبيوتر في منزلي وتفرغت مـن عمـل المكتـب وذهبت الى الى قرية النبي يونس.. كانت صور غانم تشاهد طوال الطريـق، وفـي شوارع القرية، وأهل القرية يولمون في جميع المطاعم على حسابه..

سألت الطبيب عمن يدعم هذا الرجل حتى يكون له هذا الفوز حتى في صـيدا عن طريق صديقه كايد ديب فقال:

-هناك رجل لم تسمعي حتى باسمه أعرفه منذ أن كان موظفا صـغيرا فـي الكاداسترو زمن فرنسا.. كانت دائرة جديدة والأرض تمسح على نطاق سوريا ولبنان، متر الى اليمين أو متر الى الشمال على الخريطـة تفـرق ألـوف الكيلـومترات .. إقطاعيون زادوا أملاكهم قرى بكاملها، وموظفون شاركوا الإقطاعيين.. كان يعـرف القليل من الفرنسية ، فأصبح واسطة اتصال بين الشعب ومدير الـدائرة الفرنـسي.. عينه في المحكمة التي تنظر في قضايا الأرض للفصل في في شكاوي الفلاحين . ولم يلبث أن جمع رأسمال محترم من الرشاوي. خرج بعدها من الدائرة بعد الإسـتقلال. حين استقرت الأحوال في الكاداسترو وتنظمت فيها الأمور عمل بالتجارة الخارجيـة، وأصبح بعد عشرين عاما يلعب بالملايين.. كان الضباط المـسرحون يـذهبون اليـه فيوظفهم عنده الواحد بمرتب ألف ليرة..ثم فتح مصرفا فاكتشفت الحكومة أنه بـدون تغطية مالية ، فاختفى في بيروت قبل أن يقبض عليه ، وهناك تعرف على غانم الذي كان يعمل حينذاك بدائرة الجوازات، فأصبحا من خيرة الأصدقاء، وعن طريقه اشترى غانم كثيرا من أراضي الإقطاعيين المهاجرين من الفلاحين الذين يضعون اليد عليهـا ولكنهم لا يملكونها، بأبخس الأثمان..

سجلت اسم الرجل الذي يدعم غانم في مفكرتي، فلعله الرجـل الـذي يـودع الأموال باسمه التي سرقها من مصرف زوجي وهربها الى مصارف نيويورك..

كنت على وشك أن أخرج صور وسيم من محفظتي ليـشاهد الطبيـب تقـدم علاجه لولا دخول أسماء التي كانت في الحمام عند قدومي، ولا يزال شعرها الأجعد بليلا بعد تجفيفه السريع.

سألتها عن أحوالها وفيما إذا كانت وفقت الى عمل في مشفى بيروت:

-ليس بعد، ولكنني قد أوفق في المشفى الألماني أو الأميركي عـن قريـب.. انني أنزل برفقة ليديا فهي تشكو من آلام رحمية لا أعرف مدى خطورتهـا، ولقـد نصحتها أن تستشير أطباء أخصائيين في هذين المشفيين فلـديهما أجهـزة متطـورة للكشف عن حالتها، وليس لدي مثلها في عيادتي للتأكد من شكوكي في حالتها.

-بماذا تشكين؟

-أشك بكتلة صغيرة بارزة في المبيض الأيمن قد تكون سرطانية، وسـأذهب اليها اليوم لأقنعها أن تنزل الى بيروت للفحص الدقيق دون أن أثير مخاوفها..

أخرجت من محفظتي صوروسيم وطلبت منها أن توصلهااليها..

فردت ليديا صور وسيم واشتد بها الحنين اليه وأخذت تجهش بالبكـاء.. كـان غانم قد غادر المنزل ولكنه لم يلبث أن عاد لأنه نسي مفاتيحه في جيب سترة أخـرى غير التي ارتداها في صبيحة ذلك اليوم، فشاهد الصور مفرودة على سريرها وهـي تمسح دموعها.

-من أوصلها اليك؟ هل تزورين في بيروت بيت عباد؟

-لا، أبدا.. إنها وصلت الى د. أسماء وهي أعطتني إياها.

-هل تعلم أسماء بعلاقتك القذرة مع كريم؟

-نعم

-لا ينقصنا الا مزيدا من الفضائح التي تشوه سمعتنا.. أنا أبني وأنت تهدمين.. ماعدت أريدك أن ترافقيها الى أي مكان، ولا تذهبي الى بيروت إلا برفقتي!

* * *